Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«في الطفولة»
تحولات الأنا النصي

لو قمنا بقراءة أفقية، تمشيا مع التشكل الخطي لتجربة الحياة الفردية في (في الطفولة)[1]، لوجدنا ثلاث حلقات أساسية تشكل، مجتمعة، المبنى العام الذي يصهر النص السيرذاتي في قالب سردي تتواتر فصوله إثر بعضها، مكونة مجال الطفولة :

أ ـ الحلقة الأولى، فترة الطفولة في إنجلترا إلى ثماني سنوات

ب ـ الحلقة الثانية، السفر الأول إلى مراكش (المغرب)

ج ـ الحلقة الثالثة، الرجوع إلى المغرب نهائيا.

ينفتح نص (في الطفولة)، على خلاف كثير من النصوص السيرذاتية، على شيء من العمى الذي يلف الكينونة الأولى. ذلك أنه عادة ما يلتجئ المؤلف إلى ذكر تاريخ مولده، لتحقيب تلك الفترة «السوداء» التي لا يكون له فيها تاريخ بعد، قصد الوقوف على بداية يشار إليها كمنطلق للحياة الفردية. ولا يتعلق الأمر في الكتابة بالحالة المدنية، بل بالوجود، وهو لذلك له علاقة بالسيرورة كما تطورت في الزمان من حيث الاستمرار، وليس بتثبيت تاريخ أو يوم معلوم فقط. وكان بإمكان المؤلف أن يستعين، كما فعل المختار السوسي، بأثر خارجي للتحقق من يوم مولده، ولكنه فضل الانصراف عنه إلى ذكر الماضي كلا، كفترة زمنية مشوبة بالغموض ومسكونة بالأسرار.

ويمكن النظر إلى هذا الصنيع كاختيار من بين الاختيارات المتعددة التي يقرر الكاتب اعتناقها للشروع في رواية مسرى الحياة الشخصية، كما لو كانت مفارقة له، لا يقوم الآن (زمن الكتابة) إلا بالتأمل في مجرياتها وتعقب أحداثها، ومحاولة تفسير الجوانب التي يراها قابلة للتفسير فيها. وهذا قرار يعي صاحبه أن الحياة الشخصية، حتى حين نربطها بتاريخ بدئي ما، معطاة حسب نظامها الخاص، ليس على الفرد إلا أن

---

1 ـ صدر كتاب (في الطفولة) سنة 1957 في جزأين، ثم أعيدت طباعته عام 1993 ، توزيع دار نشر المعرفة، الدار البيضاء، ص279. من القطع الكبير في جزء واحد، واعتمادنا في التحليل على هذه الطبعة.